**المحاضرة الحادية عشر**

**مراحل تطور الاسرة عالمياً**

**الاسرة من المؤسسة الاجتماعية الى الخلية الاجتماعية**

عندما نستعرض حياة الاسرة عبر تاريخ المجتمعات الانسانية نجد تحولاتها الوظيفية البنائية مسايرة لتحولات المجتمع الذي تعيش فيه. ففي المراحل التطورية الاولى للمجتمع كانت الاسرة تقوم بإشباع معظم حاجات افرادها (الصحية، الاجتماعية، الثقافية، الدينية، العسكرية). لكن مع استمرار تطور المجتمع وظهور المعبد والجيش المنظم والحكومة المركزية والمدرسة والمستشفى والجامع والمصنع كمؤسسات، اخذت هذه المؤسسات العديد من الوظائف التي كانت تقوم بها الاسرة ولم تبقى لها سوى وظيفة تزويد المجتمع بالأعضاء الجدد ومهمة تنشئتهم في المرحلة الطفولية وتلقينهم وتدريبهم الادوار المنسوبة اليهم من مجتمعهم. اما الوظائف المتبقية التي كانت تقوم بها كالإنتاجية والدفاعية والتثقيفية والدينية والصحية فقد اخذتها مؤسسات الانساق الهيكلية- البنائية فتحسب (الاسرة من كونها مؤسسة اجتماعية تقوم بمعظم مهام وشؤون ووظائف المجتمع) الى خلية اجتماعية صغيرة.

هذا التحول الهيكلي- البنائي والوظيفي الذي اصاب الاسرة حث علماء الاجتماع الى ان ينتجوا مصطلحات مناسبة لكل مرحلة تطورية لها. ففي بداية مرحلتها التطورية الاولى نحتوا مصطلح[[1]](#footnote-1)\* المؤسسة الاجتماعية. بسبب جسامة المهام والوظائف التي كانت ملقاة على عاتقها وبسبب كبر حجمها (اي عدد اعضائها الكبير) لكن بعد ان تطورت المجتمعات وتصنعت وتحضرت، تعقد هيكلها البنائي وتنوعت اختصاصاتها ومؤسساتها، الامر الذي ادى الى تقلص وظائف الاسرة وتضاءل حجمها ونقص تأثيرها على المجتمع فنحتوا لها مصطلحاً مناسباً لحجمها الصغير ووظائفها المحدودة وهو (الخلية الاجتماعية) او (الوحدة الاجتماعية) اما مستقبل تطور الاسرة هيكلياً ووظيفياً، فهو مرهون بالتطورات الاجتماعية القادمة. اي هل تستمر في ضئالة وظائفها وصغر حجمها؟ ام تعود الى ماضيها العتيد في المجتمع القديم؟ في اعتقادي انها سوف تفقد العديد من وظائفها الجوهرية لكنها لا تتخلى عن تزويد المجتمع بالأعضاء الجدد مع الاحتفاظ بوظيفتها التأنيسية والرعاية الصحية لأبنائها اما باقي الوظائف فسوف تقوم بها وحدات نسقية اخرى نيابة عنها. لكن بكلف اغلى وفوائد اضعف وهذا يكون على حساب تربية وتنشئة الانسان.

يمكن ان نطرح سؤالاً ما هو نوع ووظيفة الاسرة العربية في الوقت الراهن؟

لقد حصل تحول في بنية الاسرة العربية نوعها فصغر حجمها لكن بقت وظائفها ممتدة نحو المؤسسات النسقية للهيكل الاجتماعي العربي. اي ما زالت الاسرة الكبيرة او الممتدة تتمتع بنفوذ وسطوة وجاه اجتماعي على هياكل ووظائف المؤسسات السياسية والاقتصادية والتربوية والعلمية والعسكرية على الرغم من صغر بنيتها في الوقت الراهن.

بمعنى اخر على الرغم من وجود مؤسسات هيكلية تقوم بالمهام والوظائف السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية الا انها موجهة ومرشدة ومنقادة من قبل الرباط الاسري الذي كان سائداً في الاسرة العربية الممتدة. لذلك لا اميل الى الحكم القاطع والتحديد النهائي في قولي عن الاسرة العربية في الوقت الراهن بأنها تمثل خلية اجتماعية او وحدة اجتماعية صغيرة لأنها ما زالت قريبة من حالة المؤسسة الاجتماعية، فهي مستمرة بأداء وظائفها الاجتماعية والسياسية الثقافية والدينية على الرغم من تمدن المجتمع العربي الا انه ما زال غير متحضراً ولأن التمدن لا يعني التحضر اذ ان الاول لا يؤدي دائماً وبالضرورة الى الثاني لأنه بالإمكان شراء معظم وسائل التمدن وآلياته لكن لا يمكن ان يتسارع المجتمع بتحضره بنفس سرعة تمدنه بل بدرجة ابطأ، بمعنى اخر ان سرعة تحضر المجتمع تكون ابطأ من سرعة تمدنه خاصة المجتمعات التي تتمتع بإرث حضاري وثقافي غني وغزير واصيل والمجتمع العربي يمثل هذا النموذج من المجتمعات.

1. (\*) المؤسسة institution يقول فختر ان كلمة مؤسسة مثل مصطلحات اخرى لها معان فنية وعلمية في علم الاجتماع لكنها غالباً ما تستخدم بمعنى غير سوسيولوجي ويضيف ان المؤسسة ليست فرداً او جماعة انما بالأحرى جزء من الثقافة part of culture، اي انها مقطع منمط لطريقة حياة الناس وتشكل العلاقات الاجتماعية والادوار الاجتماعية العناصر الاساسية للمؤسسة. انها مركب او تكوين من انماط السلوك التي تشارك فيها الاغلبية وتتركز على اشباع حاجات اساسية معينة. [↑](#footnote-ref-1)